صوم الميلاد

منذ ثمانية قرون تبنّى الكرسي الأنطاكي صوم الميلاد الذي بدأناه منذ يومين في ١٥ تشرين الثاني. وروحه كروح الصوم الأربعينين، أعني رياضة النفس وتجميلها لاستقبال المسيح، فمن أساسات الصيام أن نوفّر ثمن طعام ونعطيه للمساكين.

كل صوم هو مشاركة. يصوم الانسان من أجل الآخرين. فمن قسا قلبه يبطُل صيامه. ومن أبغض أخاه يبطُل صيامه. كل شيء قلب وتليين قلب. الإمساك وسيلة إن نحن أَعطينا. فإن كنت ممدودًا الى الآخرين يجيء الله اليك بالرحمة. من أمسك عن طعام يعرف انه ممسك في سبيل الله فيساعده ذلك على ان يكون مع الآخرين كما أمره الله ان يكون.

في حديث واحد، في العظة على الجبل (الإصحاح السادس من متى) يتكلّم السيد عن الصدقة والصوم، ويُنهي كلامه بقوله: "لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض". ألا يُشتَمّ من هذا التتابع أن هذه أشياء مترابطة، فكيف نفكّ نحن ما جمعه الرب في فكره؟

وإن أردنا ان نزداد تعمقًا فلا ننسين أن الانسان غارق في جسده عن طريق اللّذّات وأن الصوم طريق ليتحرر من أَسر اللذّة. كيف نهرب من سجن الحواسّ الطاغية؟ أليست إحدى الطرق أن نحُدّ من التمتّع؟ فإذا كثر التمتع على كل صعيد، يصبح لنا ساحرا ومفرّقا، فلا فكر لنا الا فيه ولا شوق لنا الا اليه. وماذا بعد؟ اللذّة البهيميّة، اذا انقضت، تولّد الخيبة، والخيبة تدفعك الى لذّة اخرى فتبقى هكذا في الدوّامة.

ثم انت تهرب من الألم باللذة. تهرب من الألم لأنه يُشعرك بشيء من الموت وانت تخشى الموت. والخائف الموت خاضع للعبودية (عبرانيين ٢: ١٥)، لعبودية اللذّة التي يدفع بها عنه الموت وعبودية ذاته. المال والمجد والجنس (او الجسد على العموم)، هذه هي التي نريد اقتناءها لظنّنا أننا بها نغلب الموت. هذه تعطينا قوّة فنشعر مؤقتا -ما دمنا تحت سيطرتها- أننا أحياء بها لأننا لم نُدرك بعد أن الحياة الحقيقية هي المسيح نفسه حسب قوله المبارك: "أنا القيامة والحياة" (يوحنا ١١: ٢٥).

فمن بركات الصيام انه بالصَدَقة يَجعلنا أَقلّ تعبدًا للمال، وبالخلوة التي لنا مع يسوع الحبيب أكثر بعدا عن المجد، وبالإمساك أقل تبعيّة للشهوة، رياضة من رياضات التقرّب، طريق الى الاتّكال عليه.

فلندخل في الأيام التي تفصلنا عن العيد في هذا اللون من ألوان التقشف عسى ألا نقع عشيّة العيد في التخمة.

الصاحون روحيا، المتهيئون بالتعفّف وحدهم يستقبلون السيد مولودا من أجل خلاص العالم.

جاورجيوس

مطران جبيل والبترون وما يليهما (جبل لبنان)